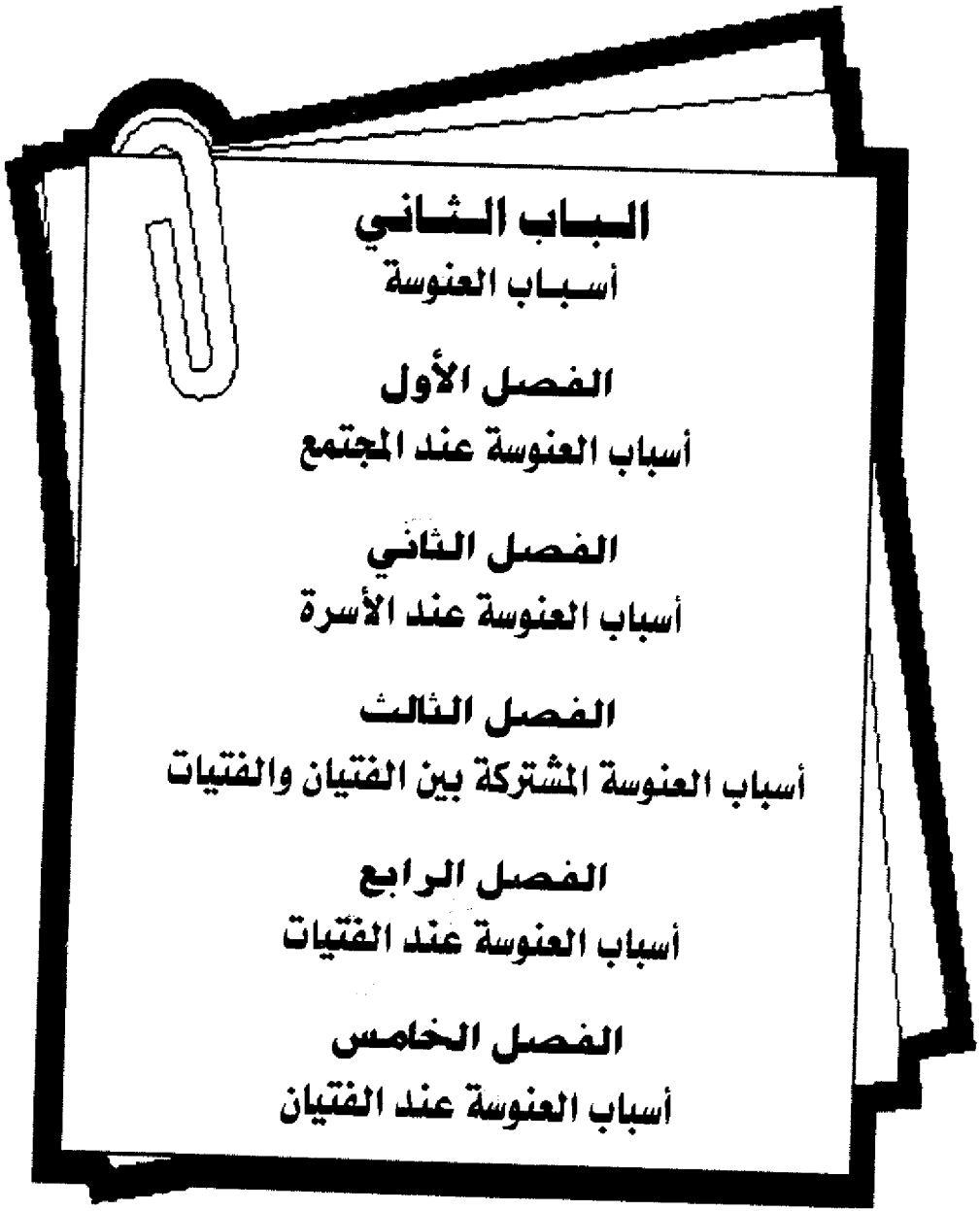

الباب الثاني
أسباب العنوسة

الفصل الأول
أسباب العنوسة عند المجتمع

الفصل الثاني
أسباب العنوسة عند الأسرة

الفصل الثالث
أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

الفصل الرابع
أسباب العنوسة عند الفتيات

الفصل الخامس
أسباب العنوسة عند الفتيان

الفصل الأول

أسباب العنوسة عند المجتمع

١ ـ وضع العوائق والعراقيل أمام من يتقدم لعانس

٢ ـ الانفلات الأخلاقي

٣ ـ العادات والتقاليد

٤ ـ تقدم أحد كبارات المجتمع ورجالاته لفتاة ثم فراقه لها

٥ ـ السخرية والاستهزاء من الحلول الجماعية

٦ ـ مواجهة الزواج المبكر لدى الشبان والشابات

الفصل الأول

أسباب العنوسة عند المجتمع

١ ـ وضع العوائق والعراقيل أمام من يتقدم لعانس:

إذا فكر أحد الرجال في الزواج من عانس رغبة فيها أو رحمة لها أو طمعا في مالها ـــ حتى وإن كانت هذه العانس هي الزوجة الثانية أو الثالثة له ـــ فإن المجتمع لا يدعه وشأنه بل يسخر منه ويفيل رأيه ويسفه أمره، فالمجتمع لا يراعي مصلحة العانس في هذا الزواج، ورغبتها فيه، فلا هو بحث لها عن زوج ولا هو ترك المتقدمين لها وحريتهم ، بل طاعنهم بكلامه ونظراته ويسخر الساخرون من أفراد المجتمع من هذا الزواج ويتهكم المتهكمون بالزوجين، ويقولون مثلا: إن الزوجة أكبر من عجوز بني إسرائيل وأن الزوج أجمل من يوسف عليه السلام ، فكيف أقدم على الزواج منها ؟ هل كان بكامل وعيه وقواه العقلية ؟ فإن في الأمر خفايا وأن ما وراء الأكمة ما وراءها،[1] فلا بد أن هذا الرجل قد أتى على طمع فيها وأنه اكتشف أن عندها كنزا ومالا ونحوه ، وإلا فما دافعه للزواج من هذه العجوز التي تبكي وتسيل دموعها من غير سبب سوى كبرها، قال أعرابي:

إن العجوزَ فارِكٌ ضجيعَها ... تسيلُ من غير بكيٍ دموعُها

تمدِّدُ الوجةَ فلا يطيعُها ... كأن من يضيفُها يضيعها

ومن أمثلة تسفيه المجتمع للمتزوجين من هذه الأنواع والنماذج ما كتب به رجل إلى صديق له نكح عجوزا:

---

[1] أصل المثل أن أمة واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة، إذا فرغت من مهنة أهلها ليلا، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت: حين غلبها الشوق: حبستموني وإن وراء الأكمة ما وراءها. يضرب المثل لمن يفشي على نفسه أمرا مستورا. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٢]

أعنّست نفسك حتى إذا أتيت على الخمس والأربعينا

تزوجتها شارفا[١] فخمة فلا بالرفاء ولا بالبنينا

فلا ذات مال تزوجتها ولا ولد ترتجي أن يكونا

بها أبدا فالتمس غيرها لعلك تعطى بغث سمينا[٢]

ومن أمثلة عدم رضا المجتمع للتزوج من الكبيرة ، ما ذكر أن عثمان بن حَبيب تَزَوَّج رَقاشِ بنتَ عامرٍ، فقيلَ له: كبيرةٌ، فقال: لَعلّي أتَغَبَّرُ منها ولداً.[٣] فلما وُلِدَ له، سَمَّاهُ: غُبَرَ، كَزُفَرَ.[٤]

وقال يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري الشاعر الماجن المعروف بالجزار قال وقد تزوج أبوه بعجوزة[٥]:

تزوج الشيخ أبي شيخة ليس له عقل ولا ذهن

كأنها في فرشها رمة وشعرها من حولها قطن

وقال لي كم سنها قلت ليس في فمها سن

---

[١] الشارفُ: الناقة المُسنَّة وكذلك الناب، ولا يقالان للذكر.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {شرف}]

[٢] عيون الأخبار المجلد ٢ ج٤ ص ٥٠/ بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٤٨

[٣] تَغَبَّرَ من المرأةِ ولداً: استَفادَهُ. وتَزَوَّج

[٤] القاموس المحيط باب الراء. فَصْلُ الغَيْن. غَبَرَ

[٥] العجوز: الشيخ والشيخة. ولا تقل عجوزة، أو هي لغة رديئة وهي المرأةُ المُسنَّة، وتجمعُ على عَجَائِز.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عجز} / القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الزاي.فَصْلُ العَيْن]

لو أسفرت غربها[١] في الدجى ما جسرت تبصرها الجن[٢]

ولا يفكر الأفراد في أن بيوتهم ملأى بالفتيات غير المتزوجات اللاتي هن في سن هذه العروس أو أكبر منها، وأن مثل هذه التجربة تشجع الآخرين من المتقدمين، وتجعل تجربة أخرى تتكرر مما يساعد على نفاق سوق بناتهم.

٢ ـ الانفلات الأخلاقي :

الزواج رباط من أسمى الأربطة، له حسنات عدة، وعليه تبعات كثيرة بدأ من التجهيز وانتهاء بالدخول وتجهيز سكن الزوجية ومرورا بالنفقة اليومية لمتطلبات الحياة، وهي نفقات مستمرة ومتزايدة، فالشخص الذي ينظر إليه من هذه النظرة وأنه مكلف، فإنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويكون مترددا بين الإقدام والإحجام.

وقد يساعد المجتمع في تجذّر هذا المفهوم وتأطيره في نفوس كثير من الرجال الذين ضعفت نفوسهم وارتمت في مستنقعات الرذيلة، وذلك بسماحه للانفلات الأخلاقي لأفراده، فمثلا: تقلب الرجل بين الخدينات مع أمنه من تبعات هذه التقلبات بين العشيقات ونتائج قضاء هذه الأوطار، من إقامة حد ومجيء أولاد وذرية، وتأسيس بيت والقيام بالنفقة على امرأة واحدة يقصر نفسه عليها، يحيض كلما حاضت ويلد عند ولادها، وأرتال النساء الموجودات في الساحة اللاتي لا أزواج لهن فلماذا لا يقر عينه بهن، ويكون كالأعشى الذي قال:

وأقررت عيني من الغانيا ت إما نكاحا وإما أُزَنْ[٣]

---

[١] غربها : أسنانها

[٢] البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ١٣ ص ٣٢٨

[٣] طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ج ١ ص ٤٣

فلماذا ينشغل بتربية الأولاد فالوقت والجهد والمال الذي يصرفه في تربية الأولاد والانشغال بهم وتوفير احتياجاتهم من طعام وشراب وكساء ودواء، لو صرفه في تتبع بائعات الهوى والمسافحات وإغواء الغانيات لكان أجدر وأحرى به، فنتيجة الانفلات الأخلاقي أن الرجل يقابل عشيقة فيعاشرها حتى إذا ملها ذهب إلى غيرها فيكون كالقرد لا يستقر على واحدة[1] لأن كل نساء البلد نساؤه كما قال أحد المستغربين في بلد من

---

[1] قيل : أزنى من قرد لأن القرد أزنى الحيوان. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٥٨]

ولكن السنة تدل على أن للقرد تزاوجا وعدم مشاعية فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ. [صحيح البخاري كتاب : القسامة في الجاهلية ، باب المناقب حديث رقم ٣٥٦٠]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : قوله: (رأيت في الجاهلية قردة) بكسر القاف وسكون الراء واحدة القرود، وقوله: " اجتمع عليها قردة " بفتح الراء جمع قرد، وقد ساق الإسماعيلي هذه القصة من وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون قال: " كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف، فجاء قرد من قردة فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلا رفيقا وتبعته، فوقع عليها وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الأول برفق، فاستيقظ فزعا، فشمها فصاح، فاجتمعت القرود، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يمنة ويسرة ، فجاءوا بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرة فرجموهما، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم " واختص القرد بذلك لما فيه من الفطنة الزائدة على غيره من الحيوان وقابلية التعليم لكل صناعة مما ليس لأكثر الحيوان، ومن خصاله أنه يضحك ويطرب ويحكي ما يراه، وفيه من شدة الغيرة ما يوازي الآدمي ولا يتعدى أحدهم إلى غير زوجته، فلا يدع في الغالب أن يحملها ما ركب فيها من غيرة على عقوبة من اعتدى إلى ما لم يختص به من الأنثى، ومن خصائصه أن الأنثى تحمل أولادها كهيئة الآدمية، وربما مشى القرد على رجليه لكن لا يستمر على ذلك، ويتناول الشيء بيده ويأكل بيده، وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظفار، ولشفر عينيه أهداب. وقد استنكر ابن

بلاد المسلمين مجيبا عمن سأله عن سبب عدم زواجه، فهو كالزنبور يلسع ويهرب، قال الشاعر:

يا طالبَ التزويجِ إنك بالـــذي تَبْغيهِ منه جاهلٌ مغرورُ
هل أبصرَتْ عيناكَ صاحبَ زوجةٍ إلا حزيناً ما لديه ســـرورُ
لا تبغِ في الدنيا نكاحاً لازمـــاً وافعلْ بها ما يفعلُ الزنبورُ
إذا ما تراهُ حينَ يدركُ فرصـــةً يدنو ويلسعُ لسعةً ويطيرُ

ومن هذه الشاكلة: م.ح. عازف عن الزواج عمره ٤٥ عاما (موظف في إحدى الدوائر الحكومية) تتكون أسرته من عشرة إخوة بالإضافة إلى الأم والأب وهو أكـــبرهم سنا وكان أكثرهم تمتعا (بالدلال) ويعترف بأنه كان يحصل طوال حياته على ما يريده.

عبد البر قصة عمرو بن ميمون هذه وقال: فيها إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحد على البـــهائم وهذا منكر عند أهل العلم، قال: فإن كانت الطريق صحيحة فلعل هؤلاء كانوا من الجن لأنهم مـــن جملة المكلفين، وإنما قال ذلك لأنه تكلم على الطريق التي أخرجها الإسماعيلي حسب، وأجيب بأنه لا يلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا والرجم أن يكون ذلك زنا حقيقة ولا حدا، وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به، فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان. وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في " كتاب الخيل " له من طريق الأوزاعي أن مهرا أنزي على أمه فامتنع، فأدخلت في بيت وجللت بكساء وأنزي عليها فنزى، فلما شم ريح أمه عمد إلى ذكره فقطعه بأسنانه من أصله، فإذا كان هذا الفهم في الخيل مع كونها أبعد في الفطنة من القرد فجوازها في القرد أولى.[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ١٩٨ــ٢٠٠]

يقول: كنت كالنحلة أنتقل من زهرة إلى أخرى، وأتمتع بالحرية الكاملة فكيف في النهاية، أرتبط بامرأة وأكتفي بزهرة واحدة وأفقد حريتي؟ لقد أثرت أحداث تلك الفترة على حياتي كثيرا فلم أعد أثق بالمرأة أو الارتباط بها، ولا أجد فرقا بين امرأة وأخرى.[١]

كما أن الانفلات الأخلاقي يجعل الرجال يفرون من تبعات تحمل مسئولية البيت والأولاد فما دام أنه سيقضي وطره بمنتهى اليسر والسهولة وفي أحايين كثيرة بلا مقابل مادي يدفعه، فالبلد المنفلتة أخلاقيا مليئة بالبغايا المحترفات اللاتي يردن العائد المادي كما أنها لا تخلو من بائعات الهوى اللاتي لا يأخذن شيئا فهن يبحثن عن المتعة ويحتسبن في أمثال هؤلاء الرجال فساء احتسابهن وخسر.[٢]

ومن الانفلات الأخلاقي التبرج ومشاهدة النساء السافرات ومراقبة الآتية منهن والذاهبة يوميا، الذي مما لا شك فيه أنه يقلل الشهوة ويضعفها، فالمجتمعات المحافظة تكون رغبة أفرادها في الزواج أكثر من غيرها من ذوات الانحلال والاختلاط، كما أن الأفراد الذين لا يختلطون يكونون أكثر رغبة في الزواج من بين أفراد المجتمعات الأخرى المختلطة.

فيا أيها الأب راقب ابنك وابنتك في دخولهما وخروجهما، فإن ذلك يساعد كثيرا على انتشار العفة ومن ثم المسارعة بالزواج، كما أن على الدولة أن تتقي الله في

---

(١) زهرة الخليج ، العدد : ١١١٦ ، ٢١/٨/٢٠٠٠م

(٢) قال العجلوني: مثل الرجل الذي يصيب المال من الحرام ثم يتصدق به لم يقبل منه إلا كما يتقبل من الزانية التي تزني ثم تتصدق به على المرضى.رواه الديلمي عن الحسين بن علي، وفي معناه:

ومطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

[كشف الخفاء، للعجلوني، حرف الميم. حديث رقم: ٢٧٦٠]

وعيتها فلا تطلق لهم الحبل على الغارب[١] بل تطبق شرع الله وتقيم الحدود على المقارفين[٢] لهذه القاذورات.

٣ ـ العادات والتقاليد :

كثير من المجتمعات الإسلامية محاطة بعادات وتقاليد وأخلاق فيها كثير من الخير والأشياء الطيبة، كالتكافل بين أفراد المجتمع والتعاضد والتناصر، وقوة الترابط بين أفراد المجتمع بعامة والأسر بخاصة فجاء الإسلام متمما لأحسن الأخلاق ناهيا عن سيئها فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ.[٣]

والعادات والتقاليد لها دور كبير في تفشي العنوسة في المجتمع، فالرجل له واجب تجاه أبويه وأخواته وإخوته، والأخوات عليهن الطاعة المطلقة والموافقة على ما يقوله الأولياء أحبين أم كرهن ما يقال لهن، رضين أم أبين، وإلا عدهن المجتمع من سواقطه. وكفى بذلك عارا في المجتمع.

فالرجل لا يستطيع أن يقدم على الزواج دون إيفاء بعض هذه الواجبات وأدائها، هذا إن لم يكن له أخوات، فإن كان له أخوات فزواجه قد يتأخر انتظارا لزواجهن ونفاق أمرهن، فالمجتمع يقول: لا كساد ولا عنوسة لرجل، ولكن البنت أمرها

---

[١] قيل: أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ. أصلُه الناقة، إذا أرادوا إرْسَالَهَا للرَّعْي أَلْقَوا جديلها على الغارب، ولا يترك ساقطا فيمنعها من الرعي. [مجمع الأمثال، رقم : ٣٤٨٣]

[٢] المُقارفة والقراف: الجماع. وقارَف امرأته: جامعها. ومنه حديث عائشة، رضي اللّه عنها: إنْ كان النبي، صلى اللّه عليه وسلم، لَيُصْبِح جُنُباً من قِرافٍ غير احتلام ثم يصومُ، أي من جماع. وفي الحديث في دَفْن أُم كُلثوم: من كان منكم لم يُقارِف أهله الليلة فليَدْخُل قبرَها. [لسان العرب مادة : قرف]

[٣] مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة ، حديث رقم : ٨٥٩٥

خلاف ذلك، كما أن البنت قد تجبر على ابن عمها أو قريبها الذي لا ترغب فيه، قال الشاعر:

ألا رب حوراء المحاجر طفلة تساق إلى وغد من القوم تنبال

يقولون جرته إليها قرابة فويح العذارى من بني العم والخال[1]

وإن لم توافق عليه فلا زواج لها بل ستجلس طول عمرها عانسا.

كما أن الابن قد يجبر على الزواج من بنت عمه أو ما يسميه بعض الناس بتغطية القدح، تشبيها لبنت العم بالإناء الكبير وهو القدح وابن العم بالغطاء لهذا الإناء، وعندما تقول الأسرة لابنها عليك أن تغطي قدحك فعليه أن يستجيب لهذا الأمر شاء أم أبى، أحب أم كره، ومن الطرائف التي تحكى في هذا الشأن: أن موظفا كان يعمل في دائرة من دوائر العمل وكان يعمل معه في المكتب عدد من الموظفين والموظفات، فاتفق مع إحدى الزميلات على الزواج منها، ولكن أهله كان في مخيلتهم أمر آخر عندما فاتحهم بما اعتزمه من الزواج من هذه الزميلة فقالوا له: لا بد أن تغطي قدحك، فاعترض ورفض ولكنهم أصروا عليه وقالوا له: نحن لا نعف عنك إن لم تتزوج بنت عمك، فجاء إلى مكان عمله وأخبرهم بما حدث واعتذر للفتاة، وفي يوم الزواج دعاهم إلى زواجه فلبوا جميعا، وحضروا للزواج واستقبلوهم استقبالا حسنا وأكرموهم، وكان من ضمن المستقبلين رجل رث الهيئة وكان قد استقبلهم بحفاوة شديدة فسأل أحد الأصدقاء زميلهم قائلا: من هذا الرجل المسكين الذي استقبلنا بهذه الحفاوة وهذا الإكرام فقال له: هذا أبو القدح. يعني هذا والد بنت عمي وأبو القدح في العامية السودانية تعني السلحفاة لما في ظهره من غطاء شبيه بالقدح.

---

[1] تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

ويأنف أرباب الأسر أنفة كبيرة من تزويج البنت الصغيرة مع وجود الكبيرة أو الكبرى إن كن أكثر من واحدة، ـــ رغم أنهن كلهن في عز سن الزواج ـــ وقد تكون البنت الكبرى شوهاء أو عرجاء أو بها ما ينقصها، والبنت الصغرى على درجة من الجمال وسوقها قائمة، فتنتظر البنت الصغرى تحرك سوق البنت الكبرى، فلا تتحرك هذه السوق بل تنام نوما عميقا، كما أنه ليس هنالك بوادر في الأفق لتحركها، بل استقراء الواقع يدل على غير ذلك تماما، فتصير الصغرى ضحية لهذه العادة.

كما أن أولياء أمور الأسر لا يعطون أي متقدم حتى وإن توفر فيه شرطا الدين والخلق، فلا بد من معرفة أصله، وأن لا يضع في ذهنه أن تأخر زواج ابنتهم يجعلهم يوافقون عليه، فعلى المتقدم أن يقيس نفسه قبل تقدمه ويهون على بعض الأسر والمجتمعات أن تموت ابنتهم من غير زواج من أن يتزوجها أحد الأزواج الذين هو في نظر مجتمعهم من رجرجة القوم ومن دهمائهم.- كما أنهم لا يسمحون لأحد من أبنائهم أن يكون قضأة فيتزوج من هي أقل منه منزلة ومكانة.[١] بل يريدونه أن يتزوج بهيرة.[٢]

٤ ـ تقدم أحد كبارات المجتمع ورجالاته لفتاة ثم فراقه لها:

قد يكون من حظ إحدى الفتيات أن يتقدم لها كبير من كبراء المجتمع ووجيها من وجهائه، وزعيما من زعمائه الصوفيين أو الاجتماعيين، ورغم فرح هذه الفتاة وفرح أهلها بهذا الزوج للوهلة الأولى، إلا أنه إذا حدث بينهما عدم وفاق نتج عنه فراق أو هجر أو تعليق من هذا الزعيم لهذه الفتاة، فإن أحدا من الناس لا يجرؤ للسعي نحو حل

---

[١] قال ابن منظور: يقال للرجل إذا نَكَح في غير كَفاءَة: نكح في قُضْأَة. ابن بُزُرْجَ يقال: إنهم لَيَتَقَضَّؤُون منه أَن يُزَوِّجُوه أَي يَسْتَخسُّون حَسَبه، من القُضْأَة.[لسان العرب لابن منظور : مادة قضأ]

[٢] قال ابن منظور: أَبْهَرَ: تزوج سيدة، وهي البَهِيرَةُ. ويقال: فلانة بَهِيرَةٌ مَهِيرَةٌ.[لسان العرب، مادة: بهر]

مشكلة هذه المرأة ابتداء، ولا يجرؤ على الاقتران بها والإقدام على ذلك احتراما منهم لهذا الكبير وحفظا لشعوره أو خوفا منه، وذلك لشدة بأسه وزيادة غيرته كما كان سعد بن عبادة زعيم الأنصار: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ [١] قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ أَهَكَذَا نَزَلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَلُمْهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ. [٢]

وفي بعض البيئات الصوفية يهب المريدون مواليدهم لشيخهم ويكون ذلك بنذرهم لهؤلاء المشايخ قبل ولادة هؤلاء الأطفال، فإن حملت المرأة يكون أهلها ينتظرون مولودها على أحر من الجمر ليفوا بنذرهم، [٣] ودفعه للشيخ طمعا في رضاه وخوفا وفرقا من بأسه، فإن جاء المولود ولدا فإن الشيخ يستخدمه في أعماله الخاصة كالزراعة والرعي وجمع الحطب ونحوها من الأعمال، وإن جاء المولود بنتا فإن الشيخ يجعلها كالأمة عنده فتقوم بخدمته الخاصة من غسل ملابس وتجهيز طعام وغمز أرجل وترجيل شعر ونحو ذلك من الأعمال مما تقوم به الإماء ومن ثم فلا يتزوجها أحد لأنها موهوبة للشيخ.

---

[١] سورة النور آية ٤

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم : ٢٠٢٤

[٣] من أسباب هبة هؤلاء الأولاد للشيوخ: تعسر ولادة الزوجة أو تأخرها أو عقمها لفترة من الزمن ثم ولادتها بعد ذلك، فيدفع أبوهم هذا المولود الذي طال انتظاره للشيخ.

وأما إذا تقدم شيخ من مشايخ الصوفية لامرأة من النساء وتزوجها وطلقها فلا يجرؤ أحد على الزواج منها لأنها مطلقة الشيخ، ولذا قالت إحدى مطلقات الشيوخ: أشقى النساء من يتزوجها شيخ.

وقد يبلغ من طغيان الزعماء والوجهاء أن ينذر الواحد منهم ويهدد مطلقته بأنها إذا تزوجت فلن ينالها خير ولم تنعم هي ولا زوجها براحة، كما لا ينسى أن يطلق أمثال هذه التهديدات للراغبين في الاقتران من هذه المطلقة.

وكأن المجتمعات قد أعطت هؤلاء الزعماء والكبراء منزلة كمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلتهم في مكانه ومن ثم فلا يؤذى بنكاح نسائه بعد وفاته أو طلاقه لهن، قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [1]

---

[1] سورة الأحزاب آية ٥٣

قال القرطبي رحمه الله تعالى: يروى أن رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة، وحفصة بعد خنيس بن حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا! والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده، وجعل لهن حكم الأمهات. وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم. قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرا، لقول تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ وقد قيل: إنما منع من التزوج بزوجاته، لأنهن أزواجه في الجنة، وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها. قال حذيفة لامرأته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تزوجي

وفي المقابل نجد بعض الكبراء والزعماء إذا فارق زوجته أو طلقهـا وأرادت أن تتزوج فإنه لا يكتفي بالموافقة على ذلك فحسب بل يقوم بتشجيعها واختيـار الـزوج المناسب لها، فيحذرها من أنواع من الأزواج ويقترح لها آخرين، كما فعل عـدة أزواج منهم ويكون هذا الاقتراح مبنيا على صفات حسية في الزوج المرتقب كما قال هدبة بن خشرم العذري لامرأته:

فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والغمم أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا. والنزع: انحسار شعر الـرأس من جانب الجبهة والعرب تتيمن بالأنزع وتذم الغمم وتتشاءم بالأغم.[١]

ـ وقال آخر لامرأته مركزا على الصفات المعنوية :

فإما هلكت فلا تنكحـي ظلـوم العشيرة حسّادها

يرى مجده ثلب أعراضها لديه ويبغض من سادها[٢]

ـ أو يركز على الجانب الخلقي والخلقي في الزوج المرتقب كمـا قـال امـرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحي بوهة[٣] عليه عقيقته[١]أحسبـا[٢]

من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ يعني أذية رسـول الله صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه، فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب أعظم منـه. [انظـر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٧ج ١٤ص ٢٢٨ـ٢٢٩]

[١] عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١٥

[٢] عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١٥

[٣] البوهة: الرجل الضاوي أو الأحمق

مرسعة[٣] وسط أرباعه[٤] به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية أن يعطبا[٥]

٥ ـ السخرية والاستهزاء من الحلول الجماعية :

قد يشعر بعض أفراد المجتمع وأولو الحل والعقد فيه بعظم أمر العنوسة وفداحة الخطب وجلل المصيبة وأنها تشكل خطرا على بنية المجتمع وتركيبته برمتها، فيفكرون في إيجاد حلول لهذه المشكلة المعضلة، فيعقدون عدة مؤتمرات تتمخض عنها عدة اجتماعات تنبعث عنها عدة لجان، تقرر أمورا على النحو التالي مثلا:

ـ القيام بمحاولة تخفيف المهور ووضع سقف لها.

ـ عدم تمسك أولياء أمور الفتيات مع المتقدمين لأيدي بناتهم وإرهاقهم بالطلبات والاشتطاط فيها.

ـ القيام بزواجات جماعية فيختارون الراغبين في الزواج من الفتيان والفتيات وتسجل أسماؤهم، وتوضع لهم مغريات ومساعدات مادية ومعنوية.

---

[١] عقيقته: يعني شعره الذي خرج به من بطن أمه يريد أنه لا يطلي

[٢] أحسا: أحمرا

[٣] مرسعة: فاسدة

[٤] أرباعه: أرساغه

[٥] يريد أنه جاهل يظن أن كعب الأرنب إذا علقه دفع عنه الموت. (انظر : كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، ج١ص٥٦٣ـ٥٦٤)

ـــ التركيز والطرق على عدم وجود أي غضاضة ولا أدنى حرج في أن يطلب أحد أولياء أمور الفتيات من أحد الشباب أن يتقدم لطلب يد ابنته وعدم وجود أدنى حرج في سؤال إحدى الفتيات رجلا صالحا وإبداء رغبتها في الاقتران به.

فتكون أضواء وأصداء هذه الحلول وأمثالها في المجتمع على النحو التالي:

ـــ الاستحسان والتشجيع والدعم من العاقلين من أفراد المجتمع رجالا ونساء، شيبا وشبابا، متزوجين وعانسين.

ـــ السخرية منها والتقليل من شأنها من أصحاب الفساد، ومن كثير من الفتيات، والغريب في الأمر أن منهن أو أكثرهن من أصحاب الشأن ومن المكتويات بداء العنوسة، وذلك للآتي:

ـــ رؤية كثير من العوانس أن الزواج الجماعي جرح لشعورهن وأن أمرهن تفاقم وأعيى الناس حتى قاموا بمثل هذه الأشياء.

ـــ الجميلات من العوانس لا يعترفن بالعنوسة وأن الواحدة منهن ترى أنها ستأتي بزوجها دون إعانة أحد لها، لأنها ترى أن هذه الإعانة وهذا التدخل انتقاص لشأنها وتمريغ لكرامتها ومسح لعزها.

ـــ المتزوجات من الفتيات اللاتي يرين أن هذا الأمر لا يهمهن في قليل ولا كثير بل يسخرن من مشجعات هذا الأمر ويضربن مثلا بأنفسهن بأنهن قد تزوجن من غير زواج جماعي بل يقلن : قد تقدم لنا عدة خطاب فانتقينا منهم من شئنا.

ـــ صغيرات السن من الفتيات اللاتي يرين أنهن بينهن وبين العنوسة وبين الموافقة على هذه الأمور وأمثالها مسافات شاسعة.

وبصفة عامة فإن المجتمع السوداني لو أخذناه مثلا يسمي الزواج الجماعي (زواج الكورة) وإن قطاعا عريضا من المجتمع رجاله ونسائه يسخر من زواج الكورة، وهي

مكيال تكال به الحبوب كالقمح والذرة والفول ونحوها، أي كأن هـؤلاء الفتيـات أن الواحدة منهن كيلت بالمكيال ولم تنتق انتقاء، فالمكيال يكيل الصالح من الحبوب والطالح بل إن الصالح من الحبوب يكون قد أصابه غبار الطالح الذي يرمى ولا ينتفع به.

وعندما قيام الزواج الجماعي المتكرر في السودان ـــ وفق الله القائمين به لعقـد المزيد منه ـــ تسمع غير واحد يقول ساخرا: جزى الله الرئيس خيرا فقد نال أجرا كبيرا في بنات بائرات كثيرات وينفجر ضاحكا.

أو يقول قائل : قد حدث طلاق جماعي وذلك لعلمه بحـدوث بعـض حـالات الطلاق أو ائتفاك مثل هذه الأقوال وحدوث الطلاق في مجموع زواجات أمر طبيعي فلو افترضنا مثلا قيام ١٠٠٠ حالة زواج جماعي وتم فيها ١٠٠ حالة طلاق فإن هذا الزواج الجماعي يعتبر زواجا ناجحا بكل المقاييس.

أو يقول قائل : إن امرأة اختلفت مع زوجها فقالت له : أرجعـني إلى بيـت أبي فقام بإيصالها إلى الحديقة التي تم فيها عقد النكاح وأقيم فيها الاحتفال بالزواج الجمـاعي قائلا لها : هذا المكان الذي أخذتك منه . وتكون هذه الحالات من نسج الخيال وليست من الواقع في شيء.

فيا عبد الله ويا أمة الله إن لم يكن فيكما خير بتشجيع أمثال هذه الأمـور فـلا تثبطا غيركما عنها، فتكونا من الذين يحاربون الزواج ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

٦ ـ مواجهة الزواج المبكر لدى الشبان والشابات:

لا يخلو المجتمع من شرذمة تحب الباطل وتدافع عنه وتتضايق من الحق وتناصـبه العداء بل تحاربه تارة سرا وتارات جهرة وفي الوقت الذي تتزايد فيه مطالبة النشـطين في مجال العمل الأهلي والاجتماعي في مصر بتدعيم اتجاهات الشباب نحو الزواج المبكـر في

مصر حلا لمشكلة انحراف الشباب، وممارسة الجنس قبل الزواج ما زالت الجهات الحكومية ومراكز الأبحاث شبه الرسمية تواصل برامجها التي تهدف إلى محاربة هذا النوع من الزواج.[1]

وفي ذلك الإطار فقد دعت دراسة علمية أخيرة حول الزواج المبكر أعدتها الدكتورة إقبال الأمير السمالوطي الحكومة المصرية إلى وضع استراتيجية لمواجهة ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع المصري، مشيرة إلى أن الزواج المبكر من الظواهر الاجتماعية التي تنتشر في مصر خاصة في المناطق الشعبية والريفية.

واستندت الدراسة إلى إحصاءات رسمية تشير إلى أن نسبة ١٨,٢% من الفتيات في الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٤ تزوجن في سن مبكرة في حين بلغت النسبة ٤٠,٣% في الفترة من ١٩٦٠ وحتى ١٩٦٤ وقالت إن نسبة الزواج المبكر في الحضر تصل إلى ٩,٥% في حين تمثل في الريف ٢٦,٣% وتصل النسبة في الوجه القبلي إلى ٢٨,٩% بينما تصل ١٦,٩% في الوجه البحري.

ودعت الباحثة إلى ضرورة أن تراعي استراتيجية المواجهة طبيعة وخصوصية المجتمع المصري وزيادة الوعي لدى المواطنين بالآثار السلبية للزواج المبكر، والاهتمام بالتوعية الدينية للفتيات المقبلات على الزواج وتعريفهن بحقوقهن الشرعية والقانونية لاختيار الزوج المناسب، وتعقيد الإجراءات الخاصة بالزواج المبكر، وتغليظ عقوبات التلاعب في عقود الزواج.

ومضت الدراسة في تعديد أضرار الزواج المبكر مشيرة إلى أنه قد يؤدي إلى ارتفاع حالات الطلاق نتيجة لعدم التوافق الزواجي، وحرمان الفتيات من حقوقهن في

---

[1] القاهرة-أحمد عطية-إسلام أون لاين الجمعة ٢٢ رجب ١٤٢١هـ-٢٠ ـ أكتوبر ٢٠٠٠م

اختيار أزواجهن، ووضع الفتاة في موقف المسئولية الاجتماعية قبل بلوغ مرحلة النضج، كما يؤدي إلى متاعب صحية للأم نتيجة الحمل والولادة المتكررة.

وقالت الدراسة إن هذا الزواج يعتبر سمة من سمات المجتمعات الريفية إذ أن ٣٦% من إجمالي عدد الزوجات في الأسر الريفية تزوجن في سن أقل من ١٦ سنة في حين تبلغ نسبة الإناث اللاتي تزوجن دون السن القانونية في الحضر ٩,١%، وترجع الباحثة تزايد النسبة في الريف إلى رغبة الريفيين في الإكثار من الأولاد وقصر الفاصل الزمني بين الآباء والأبناء والخوف على الشرف والعرض ودعم الروابط الأسرية ورغبة الأباء في تزويج أولادهم مبكرا لإثبات الرجولة وتأكيد السيطرة.

وقالت الدراسة أيضا إن العوامل الدينية تعد من أهم العوامل في شيوع الزواج المبكر في البلاد العربية والإسلامية، هذا بجانب أن بعض الأسر تزوج فتياتها الصغيرات اللاتي لم يبلغن السن القانونية من أزواج أثرياء مصريين أو عرب لديهم القدرة على تلبية الشروط التي تضعها أسرة الفتاة على الزوج وتخلص الباحثة إلى القول: إنه رغم السلبيات فإن الزواج المبكر يؤدي إلى تدعيم الروابط والعلاقات الأسرية وسيادة روح التكافل خاصة في المجتمعات الريفية، حيث يترتب على هذا الزواج نشأة حقوق وواجبات بين ذوي القربى، وتعاون في المجالات المختلفة من خلال علاقة المصاهرة.

وفي مقابل وجهة النظر السابقة التي سجلتها الدراسة التي تأخذ بها المؤسسات الرسمية المصرية فإن هناك باحثين ونشطين في مجال العمل الأهلي والاجتماعي يعددون عددا من الآثار الضارة للزواج المتأخر في عصر شهد ثورة جنسية عن طريق الأطباق الفضائية والإنترنت بما تحويه هذه الوسائل من ثقافة جنسية غير منضبطة وبصورة متاحة للجميع، وهي العوامل التي أدت إلى انخفاض سن ممارسة الزواج في البلاد العربية وتورط العديد من الشباب في البلاد العربية في ممارسة الجنس قبل الزواج، ويقول هؤلاء إن الحد

من الزواج المبكر لا يمكن أن تكون دعوة صحيحة في وقت تعاني فيه أعداد كبيرة من الفتيات العربيات من العنوسة لأسباب اقتصادية أو اجتماعية.

ويؤيد ذلك الدراسة المهمة التي أجرتها الباحثة المصرية نوال أبو الفضل الخبيرة الاجتماعية إلى أن سن الخامسة والعشرين بالنسبة للرجل، وسن الثانية والعشرين بالنسبة للفتاة هي بداية مرحلة الشعور بالخوف من الحرمان من الزواج،وهي بداية هم العنوسة عند الفتاة المتعلمة، وأن هذه السن تقل بنسبة سبع سنوات عند غير المتعلمات والمتعلمين، كما أن تفاعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية مع معيار تأخر سن الزواج يؤدي بالضرورة إلى القلق النفسي وعدم النضج الاجتماعي كما ذكرت "جريدة المسلمون".

وانتهت الدراسة إلى عدة نتائج علمية ذات دلالة هامة منها:

١- أن الزواج المبكر يدفع الزوج إلى العمل والكد وتكون الفرصة في النجاح أكبر.

٢- الزواج المبكر يجعل الزوجين أكثر ارتباطا ببعضهما البعض ويجعل كل طرف أدنى إلى مسايرة الطرف الآخر، بعكس الزواج بعد الثلاثين حيث يتمسك كل واحد برأيه أكثر.

٣- أن ٨٠% من مجموعة الأسر التي تم زواجها بعد العشرين أبدت سعادتها من القرار، ورغبتها في أن يتكرر ذلك مع الأبناء و ٦٠% من الأسر التي تزوجت في حدود الثلاثين أبدت رغبتها في الزواج المبكر.

٤- أن المرأة أكثر سعادة بالزواج المبكر من الرجل، حيث كانت النسبة ٥: ٣ لمن في سن العشرين، و ٤: ٣ لمن في سن الثلاثين، وأن المسئولية المادية على الزوج هي السبب الأول وراء ذلك، و ٨٠% ممن أجري عليهم البحث اعترفوا بذلك وشملت

العينة ٤٠ أسرة، ٢٠ منها تزوجت في سن ٢٥ عاما والـ ٢٠ الأخرى تزوجت في سن الثلاثين.

كما تظهر النسب والأرقام من خلال الملفات والاستمارات التي توزعها جمعية أنصار السنة المحمدية للواقعين تحت وطأة العنوسة التي تزداد يوما بعد يوم بسبب الظروف الاقتصادية التي يمر بها الشباب، والتباعد وضعف العلاقات الاجتماعية بين الأقارب والجيران، واللهث الدائم وراء متطلبات الحياة المتزايدة تظهر هذه الملفات والاستمارات وما تحتويه من الأمور السرية للغاية بعض الحقائق كما ذكرت جريدة "المسلمون" منها:

- ٩٥% من الراغبات يؤكدن على شرط الالتزام والتدين في الاختيار.
- يمثل المتقدمون كل فئات المجتمع من الناحية الثقافية والاجتماعية، ويمثل المثقفون إلى المهنيين نسبة أربعة إلى واحد.
- ٣٥% يشيرون إلى شرط الجمال عند الاختيار، وتشير النسبة الغالبة إلى أن يكون الجمال متوسطا.
- نحو ٥٦% من المتقدمين فوق سن الثلاثين و ٤٧% من المتقدمات فوق الثلاثين.
- ٧٦% من الشباب طلبوا أن تكون الفتاة مرتدية الخمار، و٤٤% طلبوا أن تكون منقبة ونحو ١٧% لم يحددوا.

-٦٣% من الفتيات لا يطلبن التعجيل بالزواج فيما يطلب ٧٢% من الشباب التعجيل.[١]

[١] نقلا عن كتاب: تفشي العنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعـدد الزوجـات، تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي